نصف ساعة للقراءة يا عرب

أقترح على الشعب العربي العظيم من المحيط إلى الخليج، وأقترح على الأمة العربية الأمة الواحدة ذات الرسالة الخالدة لكنها راقدة وخامدة وهامدة، أقترح عليهم جميعاً حكّاماً ومحكومين كباراً وصغاراً رجالاً ونساء أن يخصصوا نصف ساعة فقط في اليوم للقراءة الحرة، وهذه النصف ساعة تكون فقط للقراءة في كتاب مفيد، بحيث ينقطع القارئ عن العالم الخارجي، نصف ساعة فحسب فلا يرد على جوال، ولا يستقبل صديقاً ولا يتحدث مع أحد بل ينهمك بهذه الثلاثين دقيقة في مطالعة المعرفة والتزود من الثقافة، وسوف يجد القارئ أثرها بعد أيام على عقله وفهمه وحياته عموماً، وسوف تتسع نظرته وينشرح صدره ويعيش متعة مصاحبة الحرف ولذة التعرف على أسرار الكون وقدرة الباري -عز وجل- ويطلع على كنوز العلماء والحكماء والأدباء والشعراء والفلاسفة، وينتقل من عالم الجهل والسقوط والابتذال والفوضوية والهامشية إلى دنيا الحقيقة والبرهان وسماع المعرفة وجنات اليقين ومراقي الصعود في سلم الإيمان وعمار النفس وصلاح الضمير وانشراح الروح، وأنا لا أطالب الشعب العربي العظيم إلا بنصف ساعة فقط، لأنهم مشهورون بالفرار من القراءة والاشمئزاز من الكتاب، حتى قال وزير دفاع الصهاينة (موشى ديان): العرب لا يقرؤون.

وأنا أعتقد أن نصف ساعة كل يوم للقراءة النافعة مفيدة ومباركة وسوف تؤتي ثمارها، ولن أطالبهم بأكثر من هذا؛ فليسوا ألماناً ولا فرنسيين ولا إنجليزًا يصبرون على القراءة، بل يتلذذون بها الساعات الطويلة في الباص والقطار والطائرة والبيت والمكتب والمطعم، حتى إني أصبحت إذا سافرت أميّز بين العربي والأوروبي، فإذا رأيتُ من يلتفت يميناً وشمالاً ويتحدث كثيراً عن الجو وعن درجات الحرارة وأسعار العقار وأخبار الدرهم والدينار، والريال والدولار، ويسأل عن الإخوان والخلّان والأحباب والجيران عرفت أنه عربي، وإذا رأيته أخرج كتابه

واستغرق في القراءة وأخذ يقلب الصفحات ويسجّل أحياناً بالقلم ولا يتدخل في شؤون الآخرين، ولا يبصبص بعينيه ولا يلتفت حواليه ولا يبصق بين يديه عرفت أنه أوروبي، أرجو من الشعب العربي العظيم أن يمنحنا من وقته كل يوم نصف ساعة للقراءة، فيأخذ ثلاثاً وعشرين ساعة ونصف الساعة لراحته وسواليفه التي لا تنتهي وحكاياته التي لا تنفد وسمره وسهره، وأرجو من العربي أن يبدأ في قراءته برسالة النبي العربي الكريم محمد بن عبدالله ﷺ، ثم يتزود من كل علم ومعرفة.

آمل من الأمة العربية أمة الصمود والتصدّي، والطموح والتحدّي، والانتصارات من عهد جدّي أن ينصتوا لهذه النصيحة، وسوف تتحول مجتمعاتنا إلى أمة من العقلاء النبلاء الحكماء، ونقلل من عدد الطائشين السفهاء والجهلة الأغبياء والحمقى البلداء، بالعلم وحده نرتقي ونتقدم، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾، وإذا قرأنا وفهمنا سوف يعترف بنا العالم، ويحترمنا الجميع، ونجلس في الصدارة، وتعود لنا القيادة والسيادة والريادة، أما إذا بقينا على وضعنا الراهن فسوف نبقى في عداد الدول النائمة والنامية والمنسدحة والمنبطحة والمستهلكة المشغولة بالأماني الخدّاعة والتفاخر الممقوت، والأحلام الوردية، والأفكار النرجسية، هيّا يا عرب، نقرأ جميعاً ومن اليوم نبدأ مشروع نصف ساعة للقراءة يوميًّا. اتفقنا؟

في الحديث: «**والذي نفسي بيده لإسلام رجل واحد أحب إلي من قتل ألف كافر**».

بُعث الرسول ﷺ رحمةً للعالمين، فكان آية في العفو والصفح والصبر الجميل وكظم الغيظ وحسن الخُلُق، حتى عرض عليه أصحابه أن يقتل عبدالله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين الذي دبّر المكائد ضد الإسلام ورسوله الكريم ﷺ، فما كان من الرسول ﷺ إلا أن قال: «**لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**»، وقام وحشي بن حرب بقتل حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول ﷺ وسيد الشهداء إلى يوم القيامة وأسد الله في أرضه، قتله غيلة وغدراً يوم أحد بعد أن فعل حمزة بالمشركين

الأفاعيل، فوقف ﷺ على جثمان حمزة حزيناً وقال: «**والذي نفسي بيده لا أقف موقفاً أغيظ لي من هذا الموقف**»، ثم أسلم وحشي بن حرب واندس في وفد الطائف مختفياً لما قدموا على الرسول ﷺ قال الصحابة: هذا وحشي يا رسول الله الذي قتل حمزة، ألا نقتله؟ فسألهم: هل قدم مسلماً؟ قالوا: نعم، قال: «**والذي نفسي بيده لإسلام رجل واحد أحب إليّ من قتل ألف كافر**»، فقبل إسلامه وعفا عنه، وهذا حديث ثابت في السيرة وفي الترمذي، وروى الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ أن رسول الله ﷺ أرسل سرية تقاتل المشركين وفي سريته رجل اسمه محلِّم بن الصعب بن جثامة فمر بالسرية رجل، فلما رأى الصحابة أعلن إسلامه، وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وكان بين هذا الرجل وبين محلم بن الصعب إحن وثارات في الجاهلية، فقام محلم وحمل عليه السيف وقتله وقال: إنما ألقى علينا السلام؛ خوفاً من القتل.

فأُخبر الرسول ﷺ فاشتاط غضباً، وامتلأ حزناً. قال ابن عمر رضي الله عنهما: والله ما رأيت الرسول ﷺ أشد غضباً وكرباً من ذاك اليوم، فذهب القاتل محلم إلى الرسول ﷺ وجلس بين يديه وقال: استغفر لي يا رسول الله، فرفع الرسول ﷺ يديه مغضباً وقال: «**اللهم لا تغفر لمحلم**» ثلاث مرات، فقام محلم يمسح دموعه بردائه ثم تمرض ومات بعد أيام، فأتى الصحابة يدفنونه كلما دفنوه في قبر لفظه القبر، فأخبر الرسول ﷺ أن الأرض تقبل شرًّا منه، ولكن الله أراد أن يعظكم. وأرسل ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة وقاتلوه ثم أسلم بعضهم وأخذوا يقولون: صبأنا صبأنا يعني: أسلمنا، فلم يفهم خالد مقصودهم فأمر بقتلهم، فلما أُخبر الرسول ﷺ قام واقفاً واستقبل القبلة ورفع يديه وقال: «**اللهم، إني أبرأ إليك مما صنع خالد**. مرتين».

وأرسل الرسول ﷺ أسامة بن زيد يقاتل الكفار، وخرج رجل من المشركين فقتل من المسلمين كثيراً، فلما تمكن منه أسامة رفع السيف عليه، فقال المشرك: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فقتله أسامة فتغيظ ﷺ، وغضب غضباً شديداً، فلما قدم عليه أسامة صاح في وجهه: «**قتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟**» قال أسامة: إنما قالها تعوذاً، فقال الرسول ﷺ: **من لك بلا إله إلا الله إذا جاءت تحاجّ عنه يوم القيامة؟**». ولما أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليهود ورأى تصميم علي وعزمه على قتالهم في خيبر قال له رسول الله ﷺ: «**ادعُهم إلى لا إله إلا الله، وأني رسول الله، والذي نفسي بيده لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**».

أرجو من الأمة أن تقرأ هذه النصوص وأن تقف عندها طويلاً، وأرجو من المتسرعين إلى القتل والمتعطشين إلى الدماء أن يقفوا وقفة محاسبة وخوف وخشية ومراقبة لله عز وجل، وألا يأخذوا بالتأويل والأعذار الواهية والاحتمالات في قتل الأنفس المعصومة والمعاهدة والمستأمنة والأطفال والشيوخ والنساء والعزّل، أرجو ألا يُحمل السلاح إلا على العدو المحتل المغتصب المستهتر بالدماء والأعراض والشرائع والمواثيق الدولية، أرجو أن ندخل الأمن والأمان والسلم والسلام على العالم؛ ليدخلوا في دين الله أفواجاً.

الزواجات الفاشلة

في الحديث الصحيح أن من الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: عائل مستكبر، وهو الفقير الفخور المختال؛ لأن الفقر مظنة المسكنة والتواضع لله، ولكن هذا الفقير مع فقره تكبر على عباد الله، وفي مجتمعنا أناس رفضوا أن يعيشوا واقعهم وأن يتكيفوا مع وضعهم، فإذا أراد أحدهم -مثلاً- أن يتزوج أو يزوج ابنه بدأ المشروع بشحاذة، فذهب إلى العلماء يطلب منهم خطابات للأغنياء، وطرق الأبواب يتسول ويشحذ، فإذا جمع المال لزواجه أو زواج ابنه، الذي حصل له بالإلحاح والمسألة والتذلل بدأ يخطط للزواج الفاشل من أجل إرضاء قبيلته ومجتمعه، فلا بد من حفل كبير، فيبدأ بدعوة الشعراء المتسولين أيضاً، فيشتري ضمائرهم وشِعرهم.

ويحدد كل شاعر خمسة آلاف أو عشرة آلاف لإحياء ليلة الزواج، فيدعو المتزوج خمسة شعراء أو عشرة، فإذا حضروا بعد أن باعوا ضمائرهم وقبضوا دراهمهم، أخذوا يقسمون بالقصائد ويحلفون بالله العظيم إنهم لم يعرفوا أكرم ولا أجود من صاحب الدعوة والقائم في الحفل، وهم في الغالب لا يعرفونه إلا تلك الليلة، وقد يكون أبخل إنسان طلعت عليه الشمس، وينصب المتزوج الخيام ويدعو الجمهور ويذبح الخراف وأحياناً البقر، وربما نحر الجمال وفَرش السجاد ونصب عقود لمبات الكهرباء كلها من الأموال التي حصل عليها بالتسول والشحاذة والتذلل، وما ينتهي الحفل إلا وقد صرفها جميعها، واقترض عليها مبالغ، وتحمّل ديوناً كلها لإرضاء الجمهور الفاشل ومراءاة الأغبياء ومنافسة السفهاء، وطلب مدح الشعراء، وما ينتهي الحفل إلا وأصبح هذا المتزوج صفراً من المال فقيراً كحاله قبل الزواج بل أشد.

متى تنتهي هذه المهزلة الاجتماعية؟ متى نوقف هذه الزواجات الفاشلة؟ لقد حضرت زواجات علماء وأثرياء ووجهاء لكنهم عقلاء جعلوا زواجاتهم زواجات

عائلية مختصره مقتصدة، بل حضرتُ بعض الزواجات في الرياض لبعض الوجهاء وكان الزواج في بيته بلا قصور ولا صالات أفراح ولا خيام ولا شعراء ولا كذب ولا زور ولا دجل ولا رياء، وقدّم ذبيحتين وما تيسر من طعام وفاكهة وحلوى مع أحاديث مفيدة وجلسة مرتبة هادئة، فقلت في نفسي: سبحان الله! كم يكون الفرق بين العالم والجاهل والعاقل والسفيه؟ فهؤلاء العقلاء أراحونا وأراحوا أنفسهم والمجتمع معهم، أما السفهاء فأتعبوا أنفسهم وضيعوا مالهم، وذهب أجرهم.

إن عندنا في المجتمع مباهاة قبلية ومنافسات اجتماعية زائفة خداعة يقوم بها الحمقى والمغفلون في مجتمعنا.

أيها البلداء، أريحونا وأريحوا أنفسكم، وتواضعوا لله، واقتصدوا في زواجاتكم وحفلاتكم، ويا أيها الجاهل الذي جمع المال بالشفاعات والواسطات: «مد رجلك على قدر فراشك»، وقدِّر النعمة واحترم عقول الناس، وأرحنا من الضجيج والصجيج والمظاهر الزائفة والحركات الرعناء والتصرفات الحمقاء.

أيها الفقير، اترك قصور الأفراح واستئجار الشعراء وإحضار المطبلين ودعوة الجماهير، واخرس وتواضع لله، واجلس في بيتك، واجعل الزواج زواجاً عائليًّا مختصراً، وأوقف مسرحية طرْق أبواب العلماء والأغنياء والتباكي عندهم للحصول على المال، فإذا حصلت عليه بدّدته في ليلة واحدة، وأنفقته كبراً وإسرافاً وتبذيراً وسفهاً، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، نحن قوم أتعبنا أنفسنا، زواجاتنا متعبة، وولائمنا مرهقة، وحياتنا صعبة، حتى موتنا لا نموت بهدوء، بل نموت بطريقة صعبة، فغالبنا يموت إما بحادث سيارة شنيع أو بقتل أو بسقوط من عمارة أو رأس جبل، وهذا يخالف العقل، فلماذا لا نموت بطريقة مؤدبة مهذبة؟ حتى العزاء بعد الوفاة عذبنا به أنفسنا والناس بهذا العزاء؛ فالميت عذّب عباد الله قبل أن يموت،

وعذّبهم بعدما مات بطريقة العزاء الشاقة المرهقة، خاصة في القرى والأرياف من الاجتماع ونصب الخيام والولائم والمرابطة عند بيت الميت كأنه مات خالد ابن الوليد، بينما الميت أحياناً لا تساوي قيمته خمس مئة ريال، فالله المستعان على الجهل بالدين وسوء التصرف ومخالفة العقل واتباع الهوى.

obeikandl.com

امتهان شهادة الدكتوراه

صار الحصول على شهادة الدكتوراه سهلاً ميسراً في متناول الكثير من الناس، فتفاجأ بأن الكثير ممن حولك أصبحوا دكاترة، ولو أن الواحد منهم لا يستطيع أن يكتب مقالة أو يلخص كتاباً أو يناقش فكرة، وصار هناك سيلان وإسهال وإسهاب لموضوعات الدكتوراه، فهناك رسالة عن الأزياء، ورسالة عن عرضة السامري والألحان الشعبية، والفرق بين البط والوز، ورسالة عن التجميل والديكور وأنواع الأصباغ، ورسالة عن الدهون والمستحضرات، ورسالة عن الأكلات الشعبية وفن طبخ الكوسا المحشوّة والقصيدة العمودية والشعر الحرّ والشعر العبْد والعزف على الناي المنفرد، ويغيب عنك صاحبك مدة وجيزة ثم إذا هو دكتور، وتحضر المجلس وإذا نصفه دكاترة، وإذا تكلموا حولوا المجلس إلى حراج ابن قاسم لا حفظ ولا فهم ولا معرفة ولا استدلال ولا فن حوار؛ لأن الكثير من شهادات الدكتوراه تباع بيعاً في المزاد العلني.

وقد ساعد الإنترنت في الحصول على الدكتوراه من أي بلد ومن أي دولة، فلو أُسندت لك مثلاً رسالة دكتوراه عن أنواع الحطب وتكسيره وتوزيعه فما عليك إلا أن تضغط زرًّا في النت عن طريق سماحة الشيخ (قوقل) وعن طريق فضيلة الشيخ (يوتيوب) وفي لمحة البصر يحضّر لك المواد وكلام الفلاسفة في الحطب والعلماء والشعراء والأدباء والأطباء، وأماكن وجود الحطب في العالم، وكيف ينقل عن طريق البغال والحمير، وهناك جانب آخر، ففي الكليات الشرعية تُضخم المجلدات في الدكتوراه، وقد تخرّجنا في جامعة الإمام، فرأيت غرفاً كبيرة ورفوفاً واسعة وأدراجاً هائلة مليئة بمجلدات الماجستير والدكتوراه التي لم تطبع ولن تطبع ولم يقرأها أحد، حتى إن أحدهم أحضر سبعة مجلدات؛ بحثاً عن رسالة الدكتوراه، كل مجلد ككيس الأسمنت، فما كان من أحد أعضاء لجنة المناقشة إلا أن اشتاط غضباً وتميز غيظاً من هذه المجلدات الثقيلة الوبيلة المملوءة حشواً

واستطـراداً وتكراراً، ولو أن جامعة الإمـام وأمثالها من الجامعات حوّلت الطالب إلى قـراءة كتـاب نافـع وفهمه وهضمـه ثم مناقشته لـكان أجدى وأنفـع من هذه الطريقة السقيمة العقيمة.

وقـل لي بربك لو كُلف الطالب في التفسـير في الدكتوراه أن يقرأ بفهم تفسير ابن كثير، ويناقش فيه أليس أنفع من أن يُعطى جزئية من تفسير مقاتل بن سليمان أو طريقة الزمخشري في التفسير أو دراسة الرازي وكتابه؟

وأصبحـوا الآن في قسـم الحديث يوزعون الـرواة ورجال الحديث وهم ألوف على رسائل الماجستير والدكتوراه، فرسالة في الزهري ورسالة في شهر بن حوشب، ورسالة في الواقدي، ورسالة في فرقد السبخي، ورسالة في مسدد بن مسرهد.

وقـل لي بـالله: مـا مردود هـذه الرسائل على الأمـة؟ حتى إنهـم وزعوا ابن تيميـة رحمـه الله على عشرات رسائل الدكتوراه، فدكتـوراه في فقهه، ودكتوراه في طريقـة استدلاله، ودكتوراه في منهجه العقـديّ، ودكتوراه في تجديده، ودكتوراه في تفكـيره، ودكتوراه في جهـاده، ودكتوراه في تأليفه، وغالـب رسائل الدكتوراه بعيدة عـن الواقـع مثلما فعلنـا في المناهج الدراسيـة كالتاريخ والجغرافيـا، فقد جلسنا ندرس ملكة تدمر والسلاجقة وتاريخ الإغريق والملكة صبح وخاتون وأتون وشجرة الـدر، وفي الجغرافيا صادرات الكميرون من الـكاكاو، والنعناع في كينيا، والمطاط في بركينافاسـو، بينما الطلاب في أمريـكا وأوروبا يدرسون الواقع كهندسة التربة وعلوم البترول والطاقة ودراسة الأشعة والطب بأنواعه.

أرجو أن نخرج من عنق الزجاجة وأن نجعل للدكتوراه قيمة وقدراً، وأن نحترم عقول الناس، ولا نمكّن الأغبياء والبلداء من التصدر بالباطل والتلبيس على الناس واستغفالهـم، وأن نخفـف من الألقاب التـي أصبحت مصدراً للنكتـة والسخرية. وقـد رأيت شابًّـا معمماً في التلفاز لم يبلـغ الثلاثين من عمره يُطلـق عليه سماحة الإمـام حجة الإسـلام والمسلمين فلان بن فلان، فضحكـت وقلت: الحمد لله على

نعمــة العقل؛ فأئمة الإسلام كأبــي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ما حصلوا على لقــب الإمام إلا بعد ستين سنــة من الطلب والجهد والجد والسهر والحفظ والفهم والتعليــم والزهد والورع، وهــذا شاب مترف درس سنتين في فــن الخطابة فصار حجة الإسلام والمسلمين: (**يا أمةً ضحكتْ مِنْ جهلِها الأممُ**).

obeikandl.com

نحن قوم أُصبنا بالعين والحسد

نحن في العالم الثالث نحتاج في عالم الدنيا إلى عشرات السنوات من التدريب والتأهيل والتمرين؛ ليكون عندنا لياقة وذوق وفن تعامل، وكلما ذكرنا نجاح الغرب بدنياه ونظامه وعمله وإنتاجه ومراعاته الذوق العام والمحافظة على البيئة والمواعيد اعترض علينا بعض أصحابنا وذكرونا بعقيدة الولاء والبراء والركون إلى أعداء الله والإعجاب بهم، والحقيقة أن كلام أصحابنا في وادٍ وكلامنا في وادٍ آخر، ونحن في العالم الثالث إذا نقدنا أحد تترّسنا بالإسلام وقلنا: خطر، ممنوع الاقتراب، وكأن همجيتنا وتخلفنا وأميتنا وجهلنا صورة للإسلام الدين العظيم، بينما الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج رباني شريف مقدس بريء من أخطائنا وتصرفاتنا غير المسؤولة، وليتنا إذ لم نستطع اللحاق بالعالم الثاني فضلاً عن العالم الأول استحيينا على أنفسنا وراجعنا أخطاءنا، ولكننا خرجنا على العالم نتبجح وننشد: (**يا وطنّا يا وطنّا عمتْ عين الحسود**).

وما أدري مَنْ هذا الحسود المخبول المهبول المعتوه الأحمق الذي حسدَنا ولم يحسد وكالة ناسا ولا صناع حاملة الطائرات (إيزنهاور)، ولم يحسد رواد المركبة الفضائية التي هبطت على المريخ وعلى عطارد؟ وما الذي أعجبه في عالمنا الدنيوي حتى يحسدنا؟ هل هي عرضاتنا الشعبية التي يسهر عليها كل من عاف القراءة ورمى بالكتاب وطلّق الحرف؟ فالكبار عالة على الضمان الاجتماعي، والشباب عاطلون عن العمل، ومع ذلك يصرّون ويرقصون بالهراوى والمشاعيب، ويهدّدون القوى العظمى وصناع النووي و(أف 16) وصواريخ الأسكود، وإذا أردت أن تنظر إلى مدى تمدّننا ورقينا الحضاري واحترامنا للذوق العام فسافرْ برًّا من الرياض إلى الدمام أو إلى تبوك أو إلى حائل أو أبها أو الطائف؛ لتشاهد الحمّامات المهشمة ودورات المياه المحطمة والأبواب المخلعة والمقاهي الخاوية على عروشها والقمامة ذات اليمين وذات الشمال.

وبـاللّه عليكـم هل عجزنا عـن أن نسدد لشركة عالمية تقـوم بالإشراف على خدمات الطرق من المقاهي والحمامات ونحوها ولو بإيرادات من المواطنين مقابل الاستخدام؟ وانظر مثلاً مطار جدة وهو يستقبل حجاجاً ومعتمرين، ملياراً ونصف مليـار مسلم، وهو على رغـم العمليات التجميلية نقطة سـوداء في سجلنا، وقارنه بمطـار دبي الجديد، لقد سافرت برًّا من ميونـخ إلى فرانكفورت ومن باريس إلى بروكسل ومن باريس إلى ليون ومن ماربيا إلى مدريد فواللّه لقد شاهدت ما أذهلني من دقـة التنظيم والترتيب والنظافـة واحترام الذوق العام والرقـي والتمدن، ما أصابني بغيظ على واقعنا وغيرة على وضعنا، وأنا أعلم أن بعض الغوغائيين سوف يصيحون في وجهي ويقولون: اتقِ اللّه لا تمدح الكفار ولا تسبّ المسلمين. وهؤلاء لن أجيبهـم ولن أشغل وقتي بالـرد عليهم؛ لأنهم صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون، وهم لا يفرقون بين الإسلام الدين الخالد والرسالة الربانية المقدسة وبيننا نحن كبشر في العـالم الثالث، صرنا عالة في كل شيء على العالم الأول والعالم الثاني ولا أقول إلا: (**يا وطنّا يا وطنا عمتْ عين الحسود**).

لماذا لا تتولى المرأة الحكم في الإسلام؟

النساء شقائق الرجال، وأمهات الأبطال، وملهمات العظماء، ومنجبات العلماء والزعماء، ولهن حقول التميز والإبداع في الأمومة والتربية والعلم والإصلاح، ولكن القول الصحيح من أقوال المحققين من العلماء إن المرأة لا تتولى الحكم في الإسلام كالملك والرئاسة وقيادة الجيش، وقد فطن لهذا الهدهد فأنكر على مملكة سبأ تولي المرأة حكم الدولة، فقال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، فتعجب من أمر غريب غير معهود في عصره، ولهذا سلّمت بلقيس دولتها هدية لسليمان عليه السلام وأصابت في إسلامها وطاعتها، وتوليها ليس دليلاً على جواز تولي المرأة الحكم، وصح عنه ﷺ أنه قال: «**لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة**»، لأن المرأة تغلب عليها الرحمة والشفقة والحنان والضعف والتردد والخوف، وتمر بظروف لا تسمح لها باتخاذ القرارات المصيرية الكبرى.

ولما قادت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة زوج النبي ﷺ الجيش في وقعة الجمل هُزم جيشها وقُتل طلحة والزبير وغيرهما من الصحابة رضي الله عن الجميع، وندمت على خروجها بعد ذلك، ولما دبّرت زبيدة بنت جعفر زوجة هارون الرشيد أمر ابنها الأمين فشل وأخفق وضيّع الخلافة ثم قُتل وانتهى أمره، وتولت زنوبيا الزباء مملكة تدمر فسلّمت دولتها وقتلت نفسها بالسم وقالت: (**بيدي لا بيد عمرو**)، وأدارت أم عبدالله الصغير آخر ملوك الأندلس أمر ابنها فضيّع الملك وأخذت تسبه وتهجوه بقولها:

ابكِ مثل النساء ملكاً مضاعاً

لم تحافظْ عليه مثلَ الرجالِ

وشجرة الدر ورّطت نفسها والدولة في مؤامرات ومغامرات واغتيالات، حتى ذهبت وذهبت الدولة معها على حد قول الشاعر:

لـقـد ذهـــب الحـــمـــار بـــأم عـمـرو
فـــلا رجـعـــت ولا رجـــع الحـمـــارُ

ومن ضمـن أسباب انتصار العرب على إسرائيـل في معركة رمضان المجيدة وأكتوبـر الفريـدة أن (جولدا مائير) كانت على رأس الدولـة، وتحمّلت الخطأ مع وزيرهـا الهالك (موشـى دايان)، أما مـن استدل بنجاح (تاتشـر) رئيسة وزراء بريطانيا فلأنها ضمن حزب وحكومة ديمقراطية وليس القرار قرارها منفرداً ثم إنهـا ليست مسلمة حتى نستدل بعملها، والحقيقـة أن المرأة لها ميادين تبرع فيها أكثر من الرجل، حتى قال المتنبي عن أم سيف الدولة:

ولـــو أن الـنـســـاء كـمـن عـرفـنَـا
لـفُـضّـلـت الـنـســاء عـلـى الـرجـالِ

وسُئـل أحـد علماء المسلمـين وهو في الغرب: لمـاذا لا تتولى المـرأة عندكم في الإسـلام الحكم؟ فأجاب مازحاً: لأنه قـد يُطلب منها اتخاذ قرار الحرب وهي في غرفـة الولادة، وليس هـذا تحجيماً للمرأة وبخساً لحقها وتقليـلاً من شأنها؛ لكن الله الـذي خلقهـا هو أعلم أيـن قوتها وضعفهـا، وأين نجاحهـا وإخفاقها، ولهذا سمعنـا وقرأنا لكثير مـن فلاسفة ومفكري الغرب نعيهم لما وصـل إليه حال المرأة عندهـم لمـا تركت البيـت والأمومـة والرعاية والحضانـة والتربيـة، وتحولت إلى جنديـة على دبابة بجبال أفغانستان، وتركت بيتها وصارت طيارة تقصف بطائرة إف ١٦ البصـرة والموصـل والفلوجـة والأنبار، وصارت تدبـر في بعض دول العالم الانقلابـات وتقـود حرب الشـوارع فضـاع الأبناء وهُـدِمَ البيت وتفرقـت الأسرة وماتـت الأمومة واختل وضع المجتمع، لسنا ضد المـرأة ولكننا معها ومن أنصارها وإنمـا نعبر عن فهـم الشريعة الإسلامية لطبيعة المـرأة وتكوينها ونحمد الله على أن هـذه الشريعة أنجبت العظيمـات والعالمات والرائـدات والمصلحات من أمثال أمهـات المؤمنـين وبنات سيـد المرسلين ﷺ، وقد جعـل الله في كتابـه آسية امرأة

فرعون مثـلاً للمؤمنين وقدوة للصالحين، وأثنى على مريم ومدحها وزكاها، وحيا الرسـول ﷺ أم سُليـم الأنصارية وبشرها بقصر في الجنـة، وعاش الرسول ﷺ مـع المرأة ابنـاً باراً وأباً رحيماً وزوجاً كريماً ومعلمـاً عظيماً، ولم يحصل في تاريخ الإسلام أن امرأة مؤمنة صادقة شكت من هضم حقها في الإسلام أو إلغاء دورها في الحياة من قبل الدين.

obeikandl.com

إذا كانت النفوس كباراً

الهمة توقان دائم، وتطلع مستمر، وإصرار على الصعود، وترقٍّ في الكمال. ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ وهي تحدٍّ لشهوات النفس، ورعونة الحياة، واستجابة لأذان المجد، وصوت الحق، وصرخة البعث: حي على الفلاح. والهمة تولد مع الطفل، ويرضعها مع اللبن، وهي فرسه التي لا تكبو، وسيفه الذي لا ينبو، تجري به كالريح، وتمر به مرّ السحاب: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، فلا تتركه هذه الريح حتى توصله كواكب العلياء، وصهوة العظمة، غدوها شهر، ورواحها شهر، بالهمة يأنف العبد من الجهل، ويأبى الضيم ويرفض الظلم، ويهجر التقليد، وبالهمة يسافر إلى عالم الخلود، ودنيا الفلاح، وديار الكرامة، والهمة عذاب دائم؛ لأنها شاقة مقلقة محرقة مزعجة.

لولا المشقةُ ساد الناسُ كلُّهم
الجودُ يفقرُ والإقدامُ قتالُ

وقال أحد البلغاء: الناس لحم ودم لولا الهمم. ومن رزق همة عالية، تخطت به أسوار الأماني، وتقحمت به الشدائد، لأنه دائماً في اندفاع وتوثب، لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار، حتى ينال مطلوبه ويجد مرغوبه. وأشرف الهمم وأرقى العزائم ما نال به العبد رضى الرب، فحصّل العلم وعمل به، وزهد في الفاني ورغب في الباقي، وجعل العمر مطية للفوز، وسفينة للنجاة. وصاحب الهمة له من نفسه محرض كلما نامت مقلة نفسه، ونعس جفن عزيمته، فمن منح ذهناً وقاداً، ونفساً وثابة، وطموحاً عارماً فقد أمسك ناصية النجاح، والهمة مثل النار لا بد لها من وقود، فمنهم من أطعمها حب الرياسة، فلا يهدأ له بال حتى ينالها، ولو أنعل خيله الجماجم، وصبغ سيوفه بالدم، ومنهم من عشق المال فعاف الغمض وطلق الكرى، وأجدَّ السير في جمعه حتى ملكه، ومنهم من مال إلى الزهد، فتدثر بلحافه،

وتزمل بجبته، فنهى النفس عن الهوى، وجدّ في التقوى، حتى ترصع بتاج العفاف، ونال مرتبة الورع، ومنهم من حدثته نفسه بطلب العلم، وتحصيل المعارف، فهو في دأب عظيم، وشغل جسيم، فمراده العلم، ومقصده الفهم وحديثه المعرفة، قائماً وقاعداً وعلى جنبه، أما ساقط الهمة فهو بارد الأعصاب ذابل الروح، متجمد الدم، رضي بالدون، وأخلد إلى الأرض، وأنس بأشكاله من الناس، وصاحب أمثاله من البشر، فأقل شيء من العلم يكفيه، وأخف فرض من العبادة يرضيه، أهمل نفسه من التعليم، وأعفاها من التأديب، واستسلم للراحة، وأتبعها هواها، وتمنى على الله الأماني.

مَنْ يَهُنْ يسهلِ الهوانُ عليه
ما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ

لكن صاحب الهمة في شغل شاغل، يجمع الفضائل، ويحصل المكارم، ويهذب نفسه بالعمل الصالح، ويغذي فكره بالعلم النافع، ويزكي روحه بالخلق النبيل، وينفع أمته، ويحمل رسالته، وينصر دينه، فبوركت هذه الهمة العالية.